

# العلاقات السعودية-الروسية الراهنة: توافق مرحلٍ أم تحالف ناشئ؟



**ميثاق خير الله جلود**

»

استمرت السعودية بعلاقاتها الاقتصادية مع روسيا بعد الحرب الأوكرانية ، ولم تلتزم بالعقوبات الأمريكية التي فرضت على روسيا ، ولم تتجاوب مع الضغوط الأمريكية المستمرة لدفعها على زيادة انتاج النفط، وتعويض امدادات الطاقة التي كانت ترد لأوروبا عن روسيا قبل هذه الحرب.

“

مررت العلاقات الروسية - السعودية عبر تاريخها بمحطات أساسية؛ فقد كان الاتحاد السوفييتي السابق أول دولة (غير عربية) تعترف بمملكة نجد والجهاز وملحقاتها (المملكة العربية السعودية لاحقاً) عام 1926، وفي عام 1930 افتتحت السفارة السوفيتية في مدينة جدة، إلا إن محركات وأسباب الخلاف بين البلدين كانت حاضرة بقوة، مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين عام 1938. عام 1955 أراد الاتحاد السوفييتي إعادة العلاقات الدبلوماسية مع السعودية، وعرض على القيادة

لقد كانت زيارة ولي العهد السعودي (آنذاك) الأمير عبدالله بن عبد العزيز (الملك عبدالله فيما بعد) إلى روسيا في أيلول 2003 نقطة ارتكاز جيدة نحو علاقات إيجابية؛ إذ كانت الزيارة الأولى لمسؤول سعودي رفيع المستوى منذ عام 1932، وكانت مدخلاً لاتفاقيات واستثمارات اقتصادية بين الطرفين، وقد استمرت وتيرة التفاعل بين الطرفين، ولاسيما بعد التحولات السريعة التي شهدها منطقة الشرق الأوسط إثر اتفاقيات الريع العربي عام 2011، ومنها تعزيز روسيا ل根基اتها في المنطقة.

## **تطور العلاقات - السعودية الروسية**

كان عام 2015 نقطة ارتكاز جديدة نحو تطوير العلاقات السعودية - الروسية؛ فقد برزت مؤشرات واضحة على توجهات السياسة الخارجية السعودية منذ تولي الملك سلمان بن عبد العزيز للحكم، وببروز دور نجله الأمير محمد بن سلمان بوصفه قيادة شابة طموحة، إذ أخذت السعودية تعزز علاقتها الدولية ولاسيما مع الدول الآسيوية ودول أوروبا، فضلاً عن التوجه نحو تطوير العلاقات مع روسيا، ضمن هذه السياسة زار محمد بن سلمان روسيا في حزيران 2015، وكانت تلك الزيارة مفتاحاً لتبادل الزيارات بين قيادة البلدين، فقد تكررت بعدها زيارات محمد بن سلمان إلى روسيا، كذلك زار الملك سلمان روسيا عام 2017، وزيارة تلك هي أول زيارة يقوم بها ملك سعودي إلى روسيا، وجاءت بعد عشر سنوات من زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى

الدبلوماسية بين الطرفين لم تتطور تطوراً ملحوظاً في عقد التسعينيات لأسباب عدة أهمها: العمليات العسكرية الروسية في جمهورية الشيشان عام 1994، فضلاً عن الخلافات بين الطرفين حول أوضاع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، والأقليات المسلمة في أوروبا الشرقية .



تلتزم بالعقوبات الأمريكية التي فُرضت على روسيا، ولم تتجاوز مع الضغوط الأمريكية المستمرة لدفعها على زيادة انتاج النفط، وتعويض امدادات الطاقة التي كانت ترد لأوروبا من روسيا قبل هذه الحرب. وفي هذا الصدد صرّح محمد بن سلمان بشكل واضح بأن "المملكة لا تستطيع أن تضخ أكثر من 13 مليون برميل إلى الأسواق العالمية"، كما أكد عادل الجبير وزير الدولة للشؤون الخارجية في أكثر من مناسبة، بأن سياسية المملكة النفطية تقوم على مبدأ الحفاظ على استقرار الأسعار، ولا تميل إلى مضرة المستهلكين والمنتجين على حد سواء، إلا أن الإدارة الأمريكية ترى في هذا الموقف السعودي دعماً لروسيا، على اعتبار أن ارتفاع أسعار النفط سيجعل الروس يحصلون على أموال كافية لسد نفقات حربها على أوكرانيا، وبالتالي لن يكون للعقوبات الأمريكية - الأووبية المتعلقة بحظر النفط الروسي تأثير كبير.

تجمع محمد بن سلمان مع بوتين علاقة متميزة على المستوى الشخصي، ومن المؤشرات المهمة على ذلك اتصال بوتين بمحمد بن سلمان في الثالث من آذار 2022 ليوضح له وجهة نظر روسيا في التدخل العسكري في أوكرانيا، وللتباحث حول السياسية النفطية له (أوبك+)، ومن المؤشرات الأخرى على طبيعة العلاقة بين الرجلين؛ استجابة الرئيس الروسي لوساطةولي العهد السعودي لإطلاق سراح عشرة مقاتلين أجانب محتجزين في روسيا، بينهم أمريكيين، وصلوا السعودية

## موقف المملكة العربية السعودية من الحرب الأوكرانية

ال سعودية، والتي كانت أيضاً أول زيارة يقوم بها رئيس روسي إلى السعودية.

عقب هذا التطور اللافت في الزيارات الرسمية، تم الاتفاق على تجميد مصادر الخلافات ولاسيما في الملف الإيراني والسوري، وتم التنسيق في ملف سياسات الطاقة، وقد بُرِزَ ذلك بصورة واضحة خلال قرارات (أوبك+) أثناء جائحة كورونا، وخلال الحرب الروسية - الأوكرانية. يسيطر البلدان على أكثر من (20%) من سوق النفط العالمي، فضلاً عن ذلك استثمرت السعودية في روسيا أكثر من ملياري دولار، وفي المقابل استثمرت روسيا في السعودية فتجاوزت المليار دولار سنوياً.

فيما يخص الجانب العسكري سعت روسيا إلى عقد صفقات أسلحة استراتيجية مع المملكة العربية السعودية، أهمها ما تم تداوله إعلامياً عن منظومة الدفاع الجوي (S-400)، كما عرضت روسيا عام 2017 على الرياض مقنلات (سوخوي 35)، إلا أن الصفقتين لم تتمان لحد الآن بسبب تردد السعودية، وعدم رغبتها بتغيير سياسيتها الدفاعية، التي استمرت عليها السعودية لأكثر من 75 عاماً، فمن المعروف أن الأسلحة الاستراتيجية في السعودية مصدرها أمريكي. كذلك تم الاتفاق بين الرياض وموسكو على تصنيع بعض الأسلحة الروسية داخل السعودية ومنها بندقية (كلاشنكوف) وراجمة الصواريخ (TOS) وصواريخ (كورنيت) المضادة للدروع.

ووفقاً لهذه الاستراتيجية استمرت السعودية بعلاقتها الاقتصادية مع روسيا بعد الحرب الأوكرانية، ولم

ستحظى بها بعلاقاتها مع المملكة، ومكانة المملكة في العالمين العربي والإسلامي، وهذه المكانة مفتاح رئيس من مفاتيح منافسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

خلاصة القول؛ رغم دوافع الطرفين ووجود الظروف الموضوعية لتنامي العلاقات بينهما؛ إلا أن طبيعة العلاقات السعودية-الروسية ستتوقف عند حد معين، ولن تصل في رأينا إلى مرحلة التحالف في المستقبل القريب، وهذا الأمر لا يخفى على كلاً الطرفين السعودي والروسي، إذ يدرك صانع القرار الروسي حدود وسقف خيارات المملكة في هذا الجانب، فالمملكة حتى وإن اختلفت مع الولايات المتحدة، يظل اختلافها محدوداً، ولن يصل إلى مرحلة فك التحالف مع الولايات المتحدة مطلقاً، وروسيا على علم بذلك وتقبل به؛ فمهما كانت العلاقات السعودية-الروسية مهمة ومفيدة للسعودية، لن تضحي الأخيرة بعلاقتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة من أجل علاقة مع دولة أخرى مهما كان وزنها الجيوسياسي في المستقبل المنظور، وإذا شعرت السعودية بأن الامور وصلت إلى حافة الهاوية ستسير مع الرغبات الأمريكية، ولا سيما المتعلقة منها بالحرب الروسية-الأوكرانية ■ ورسم السياسة النفطية.

ميثاق خير الله جلود : باحث وأكاديمي من العراق، استاذ مساعد بكلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، رئيس قسم الدراسات السياسية والإستراتيجية بمركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل.

فالأخيرة اليوم قوية عسكرياً واقتصادياً، بدأت مرحلة جديدة تجاوزت فيها كبوة انهيار الاتحاد السوفييتي، وبالتالي فإن صانع القرار السعودي أدرك أن مرحلة القطب الواحد التي سادت منذ تسعينيات القرن الماضي أخذة بالتراجع مع ظهور منافسة حقيقة للولايات المتحدة من روسيا والصين، وفي المستقبل القريب من ألمانيا واليابان. على المستوى الإقليمي تعلم القيادة السعودية مدى تطور العلاقات الروسية - الإيرانية، لذلك من مصلحة القيادة السعودية التي تخوض صراعاً وتنافساً مع إيران في المنطقة، منح روسيا خيارات وامتيازات تجعلها تراجع علاقاتها مع إيران، مقابل امتيازات اقتصادية وسياسية مع السعودية. فضلاً عن أن المملكة بدأت منذ عام 2015 السعي إلى تنويع مصادر السلاح، إذ تعد المملكة حالياً أكبر مستورد للأسلحة على مستوى العالم، بنسبة بلغت نحو 10% من مبيعات الأسلحة عالمياً.

أما روسيا فلها دوافع ضمن إطار علاقتها مع السعودية، أهمها : تبوء دور أساسي في رسم السياسة النفطية العالمية بالاتفاق مع السعودية، إذ تعد الأخيرة أكبر منتج للنفط ضمن منظمة أوبك، وروسيا أكبر منتج للنفط من خارج أوبك، ومن هنا تدرك روسيا أن تنسيق الموقف والأدوار في هذا الملف أمر بالغ الأهمية، وسيكون له أثر إيجابية، وسيجعل روسيا لاعب أساسياً في سوق الطاقة العالمي.

فضلاً عن ذلك تدرك روسيا فرص الاستثمار الاقتصادي المتنوعة التي

بعد الإفراج عنهم بصفقة تبادل أسرى بوساطة سعودية-تركية في أيلول 2022، وقد أوصلت السعودية بهذه المبادرة رسالة إلى الولايات المتحدة مفادها: العلاقات السعودية الجيدة مع روسيا من الممكن أن تكون سبباً في إيجاد حلول لبعض القضايا بوصف السعودية حليف استراتيجي للولايات المتحدة، وفي ذات الوقت صديق لروسيا.

لم يكن قرار (أوبك+) بخفض الإنتاج والحفاظ على أسعار النفط بحدود 100 دولار للبرميل قراراً اعتيادياً، لذلك كان غضب الإدارة الأمريكية واضحًا من حدة وجدية التصريحات، والتحديات التي وجهتها للسعودية، لذلك حاولت السعودية التخفيف من هذا الغضب، عن طريق التصويت في الأمم المتحدة لصالح قرار ادانة روسيا، بعد ضمها أربعة مناطق أوكرانية، فضلاً عن ذلك أجرىولي العهد السعودي اتصالاً هاتفياً بالرئيس الأوكراني زيلنسكي في الخامس عشر من تشرين الأول 2022، تعهد خلاله بمساعدة قدرها 400 مليون دولار، مؤكداً له حرص المملكة على الاستمرار بجهود الوساطة لإيجاد حل يوقف الحرب، ومن جانبة شكر زيلنسكي محمد بن سلمان على موقف المملكة في الأمم المتحدة.

## مستقبل العلاقات السعودية - الروسية

لقد أدرك صانع القرار السياسي السعودي أهمية توسيع وتنويع قاعدة علاقات المملكة مع الدول المؤثرة في العالم، ولا سيما روسيا،